

"تسليم نقدي إجرائي"

أثر التناص القرآني في
شعر ماجد حاكم موجد

Procedural Critical Consent

Impact of Quranic Intertextuality on the
Poetry of Majid Hakim Moojid

أ.د محمد عبد الحسين الخطيب
العراق / جامعة كربلاء / كلية التربية للعلوم الإنسانية ، قسم
اللغة العربية .

م.م. وسيم عبد الأمير درويش

العراق / مديرية تربية كربلاء

Prof. Dr Mohammed Abd Al Hussein Al Khatib

University of Karbala/ Faculty of Education

Asst. Lect. Waseem Abd Al Amir Darwish

Directorate of Education Karbala

wseemdrwsh@yahoo.com

m.alkhateeb1964@yahoo.com

خضع البحث لبرنامج الاستلال العلمي
Turnitin - passed research

الملخص

رصد الباحثان في هذه الدراسة الموجزة أثر القرآن الكريم في شعر الشاعر ماجد حاكم موجد وهو من طبقة الشعراء العراقيين الناظمين للشعر المثنوي إبان التسعينات من القرن الماضي ، ووقفت هذه الدراسة عند الأثر القرآني في أهم أعماله وهما ديوانه (ما تساقط بل أو شك للشمس) (و تحت القمر .. فوق الورد) ، وقد نظم الشاعر نصوصه فيها بالشعر المثنوي ضمن السنوات المحصورة بين ١٩٩٧ و ١٩٩٩ ، وقد اجتهد الباحثان في رصد التأثير القرآني تعبيراً ومغزياً في شعر الشاعر المذكور ، إذ أوضحت الدراسة مقدار إفادة الشاعر ماجد حاكم موجد من القرآن الكريم وتفاعله معه عبر أسلوب - التناس - ومن خلال محورين :

الأول : ظلم السلطة الحاكمة للشعب ، وغدرها .

الثاني : الغربة والتطلع للهرب من الواقع الأليم .

وأشار الباحثان إلى ملامح تأثير القرآن في الشعر الحديث ، متخذين من شعر الشاعر ماجد حاكم موجد مجالاً للبحث الذي تعددت وجوه التناس فيه ، مع القرآن الكريم على صعيد المفردة ، والتركيب ، والمضمون ، فضلاً عن الإقتداء بالغايات والأفكار ، واستيحاء المضامين الجزئية ، وكان للمحاور المتناس معها دور في إنتاج الدلالات الجديدة وتوجيهها ، واكساب النص دلالات متعددة .

وأوضح البحث أن إبراز رؤى قائمة وحزينة عن وطن الشاعر ماجد حاكم موجد وحاضره المؤلم ومستقبله المجهول ، ظلت تشكل دافعه الأساسي للتناس مع الآيات القرآنية التي تثير المعاني المقصودة ؛ بالرغم من أن تناسه في عدد من المواضيع لا يعني تطابقه التام مع الأفق الدلالي للآيات الموظفة ، ولا يعني نجاحه كذلك في كل مواطن التناس مع القرآن الكريم .

Abstract

In this paper, the two researchers investigate the effect of the Holy Quran on Majid Hakim Mujed's poetry. Mujed is an Iraqi poet who writes prose poetry in the nineties of the last century. This study focuses on the Quranic intertextuality in most of his important works, namely " Never Falling , but Ascending to the Sun " and " Beneath the Moon, On Roses " . The poet inaugurates writing these texts in the years between 1997 and 1999. The researchers attempt to monitor the Quranic influence in his wording and expressions and show how the poet Majed Hakim Mujed interacts and benefits from the Holy Quran through the method of intertextuality by two domains:

Firstly: the injustice ruling power on people, and betrayal.

Secondly: the alienation and aspiration to escape from the painful reality; the exile is an expected result for the oppressed people who have kept in subservience and hardship, especially by the unjust exercise of authority and the acts of power of intimidation and brutality.

The researchers pointed the influence of Quran in the modern poetry, referring to Majid Hakim Mujed's poems which is the scope of the present research. The poems have many aspects of convergence, with the Holly Quran in terms of individuality, composition and content. As well as, the intertextuality in the poems has a role in producing new indications and multiple new semantic connotations.

The research reveals that Majid Hakim Mujed's poetry presents dark and poignant visions of the homeland , describes his painful life and his unknown future and resorts to his main motive , the Quranic verses, to evoke the intended meanings of stability .

تقديم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله حمداً كثيراً مباركاً يليق بجلال وجهه وعظيم سلطانه رب العالمين،
وأفضل الصلاة وأتم التسليم على نبينا محمد المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله
الأخيار المنتجبين إلى يوم الدين .

و بعد ؛ فإن الأهداف السامية والمقاصد النبيلة التي لإجلها نزل القرآن على
الناس لا تخفى على كل ذي لب ؛ فنعوت هذا الكتاب الخالد تدل على منوعته،
فهو القرآن الكريم، والقرآن المجيد، والكتاب العزيز، والكتاب المين، والذكر
الحكيم، والذكر المبارك، والصحف المطهرة، وأحسن القصص، وأحسن الحديث،
والبرهان، والفرقان، والحق، والسراج، والبلاغ... وهذه الأسماء تدل على شرف
المسمى وعلو رتبته وسمو درجته .

وإن للقرآن روحانية خاصة، وتأثيراً غير خافٍ في النفوس؛ لما استعذبت من
وهج بيانه ودقة تعبيره؛ وقد صقل فحول الأدب وأعلام البيان نصوصهم بأساليب
القرآن وحذوا حذوه في النظر واقتبسوا من نوره في كل غرضٍ ومقصدٍ؛ لأنه كان
المنارة والقدوة لهم وإن اختلفت الأقطار وتباعدت الأمصار .

وكان لحرص الكُتّاب والخطباء والشعراء على أن يضمّنوا شيئاً من مفرداته
، وعباراته، ومعانيه في نصوصهم أثرٌ نافذٌ في نفوس المتلقين؛ فضلاً عن الأهداف
الأخرى المتوخاة من الاقتباس النصي، أو التناص المعنوي .

وقد عرف كثيرٌ من الأدباء الأقدمين والمحدثين بتأثيرهم الواضح في صياغتهم الحُجج وعرضهم القصص، والوصف، والجدل، والموعظة الحسنة، بنهج القرآن الكريم وآياته .

وقد رصد الباحثان في هذه الدراسة الموجزة أثر القرآن الكريم في شعر الشاعر ماجد حاكم موجد وهو من طبقة الشعراء العراقيين الناظمين للشعر المنثور إبّان التسعينات من القرن الماضي، متمياً إلى الجيل الذي اصطلح على تسميته بجيل الرماد، والتسمية وضعت مجازاً لبيان معاناة الناس في العراق في تلك الحقبة من آثار الحروب، والاضطهاد السلطوي، والحصار، وبسبب كل ذلك هاجر الشاعر ماجد إلى المنافي بوصفها ملاذاً آمناً، فأقام في دبلن من ذلك الحين .

ووقفت هذه الدراسة عند الأثر القرآني في أهم أعماله وهما ديوانه (ما تساقط بل أو شك للشمس) و(تحت القمر .. فوق الورد) وقد كتب الشاعر قصائدهما بالشعر المنثور ضمن السنوات المحصورة بين ١٩٩٧ و ١٩٩٩، وقد اجتهد الباحثان في رصد التأثير القرآني تعبيراً ومغزياً في شعر الشاعر، إذ أوضحت الدراسة مقدار إفادة الشاعر ماجد حاكم موجد وتفاعله مع النص القرآني عبر أسلوب - التناسل - وذلك عبر محورين :

الأول : ظلم السُلطة الحاكمة للشعب، وغدرها .

الثاني : الغربة والتطلع للهرب من الواقع الأليم .

ويأمل الباحثان في هذه الدراسة الموجزة أن يبيننا مقدار إفادة الشاعر من التناسل القرآني للآيات القرآنية الكريمة الممزوجة في شعره، وهل مكّنه التناسل من الخروج

بدلالات تدعّم المراد، وتقوّي الخيال، وتؤثّر بالنفس. وبالاعتماد على خطة البحث يرجو الباحثان أن يتحقق المبتغى وتعمّ الفائدة، والله المستعان ...

دلالة موجزة للتناص

تتفق معظم الآراء النقدية بأن - التناص - مصطلح حديث، لفهوم قديم، يشير إلى الأسلوب الذي يُبنى عليه النص، معتمداً مبدأ التفاعل، والتداخل، والتوظيف لنصوص أسبق منه أو معاصرة له؛ فإذا تلقى القارئ نصاً يتداخل مع نص آخر ذي تأثير واسع أو قيمة عليا بهيأة التناص، ارتحلت ذاكرة القارئ إلى دلالة النصوص الموظفة المقتطعة من سياقاتها؛ مع أن صاحب النص الجديد كثيراً ما يحور في بنية النصوص الموظفة بأن يُقدّم أو يُؤخر أو يُوجز أو يُجمل أو يُحذف مع الإبقاء على الإشارات الخاصة بالنص الأصيل؛ ليُنمّي المعنى الخاص بنصه، وهو معنى يتوخاه المؤلف ويركز عليه. وإذا كان التناص في نظر بعض النقاد ((أحد مميزات النص الأساسية التي تُحيل على نصوص أخرى سابقة عنها، أو معاصرة لها))^(١) فإن آخرين يؤكدون النتائج المهمة التي يُتيحها هذا الأسلوب، إذ تتم عبر التناص ((إعادة استيعاب، غير محدد، لمواد النص، بحيث تظهر مختلف مقاطع النص الأدبي، عبارة عن تحويلات لمقاطع، مأخوذة من خطابات أخرى، داخل مكون أيديولوجي شامل))^(٢).

والملاحظ أن الآراء السابقة تشترك في - فكرة التفاعل - الحيوي بين النصوص الناتجة عن أسلوب التناص، وتبقى المقدرة الفنية لصاحب النص، المعيار الفاصل في الإفادة من التوظيف والمشاركة؛ فترتفع قيمة الدلالة إذا ما أحسن الأديب الملاءمة بين النصين وتجوّب إذا فتر إحساسه، ونضبت مقدرته ... والتفاوت في الأداء

له نصيبٌ من الأعمال الأدبية بشكل عام ، وقد وقف الباحثان عند ترجمة موجزة للشاعر ماجد حاكم موجد تمهيداً لبيان أثر التناص القرآني في شعره ...

الشاعر ماجد حاكم موجد في سطور

الشاعر ماجد حاكم موجد : من مواليد ١٩٧٢ في محافظة القادسية ، مدينة الديوانية ، تنقل بالسكن بين الديوانية و كربلاء وبغداد ، صدرت له الدواوين الشعرية الآتية : (ما تساقط بل أوشك للشمس) ، (تحت القمر ، فوق الورد) ، (غراييل) ، وما زال يكتب ... عمل في مجال الصحافة والإعلام الثقافي ، هاجر من العراق إلى مصر في عام ٢٠٠٩ ، ويقيم حالياً في دبلن ، وله مقالات نقدية في الشعر العراقي منشورة في الصحف العراقية^(٣) . وعند إنعام النظر في شعره المنشور ضمن ديوانيه ؛ نجد في جانب من خصائصه، تأثره بالقرآن الكريم ، هيئة تناص ، ليرسم الشكل ، والأداء ، والقصدية ، ومن ذلك الأخذ من القرآن الكريم مما يتجاوز نطاق المفردة و التركيب إلى التلميح المعنوي ، فيشكل حضوراً لافتاً وبارزاً في شعر الرجل ... وقد دار جُلُّ اهتمام الشاعر ماجد حاكم موجد بالقرآن الكريم في ديوانيه موضع الدراسة حول محورين رئيسين:

المحور الأول : ظلم السلطة .

كثُر في الشعر العربي الحديث – بمختلف أنماطه – موضوع ظلم السلطة ، وضمن مدار هذه الثيمة تعاطى الشاعر مع النص القرآني في عدد من القصائد ؛ لإنتاج دلالات معينة مقصودة لذاتها .

وفي العموم لا ينأى الشعر المنشور عن هذه القاعدة في طرائق تعبيره ؛ حتى

أضحى النص الشعري ((نسيجاً من الاقتباسات والإحالات ، والأصدقاء المتحدّرة من مصادر ثقافية متعددة ... تشرّبها النص بطريقة ما))^(٤) والشاعر ماجد حاكم موجود يركّز في تناصه مع القرآن الكريم على المعاني التي تبرز القضية المرتبطة بظلم السلطة ، واضطهاد الشعب ، مثلما نلاحظ في قوله :

((أصحابُ الأيكةِ يتناسلونُ بلا ترائب

ولا يكرهون الغنائمَ عندما تَنفَلتُ من دم يتيّم))^(٥)

في هذا النص الشعري الموجز نلاحظ تناص الشاعر مع قوله تعالى ((وَإِنْ كَانَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ لَظَالِمِينَ))^(٦) فأصحاب الأيكة وهم (سكان بقعة كثيفة الأشجار وهم قوم شعيب))^(٧) وقد أظهروا العداوة للنبي شعيب عليه السلام المرسل من الله عز وجل ، وقد أفاد الشاعر من هذه الدلالة المتعلقة بسوء الفعال ؛ في إشارة إلى جماعة تشبه أولئك في السوء إذ سلكت طريق الضلال والظلم ، والمعنى يحمل دلالة إدانة موجهة لأي سلطة غاشمة تستعبد رعاياها .

وفي المقطع اللاحق من النص الشعري نفسه ، يرد تناص من كتاب الله العزيز في قوله تعالى ((قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ))^(٨) ضمن قول الشاعر :

فتشابه علينا الحجرُ ...

الحجرُ ، اللغةُ

والقراءةُ / يدُ تنفَلتُ))^(٩)

فالقارئ للنص الشعري ، لا يواجه صعوبة كبيرة في تتبع دلالة التركيب (تشابه علينا) المتعلقة بقصة بقرة بني إسرائيل ، وأداء نبي الله موسى عليه السلام في حل القضية ، وكشف هوية القاتل بإذن الله تعالى ، ودور قوم موسى المشين في الاستهزاء تارة ، وفي التهاون تارة أخرى حتى وقعوا في عدم الطاعة ؛ فنزل قول الله تفصيلاً في ذلك الخبر^(١١) .

وحين نرى أن المقصود من تناص شعر الشاعر مع النص القرآني ، توجيه الاتهام إلى السلطة الظالمة على ما جرى للناس من مهانة ، فإننا في الوقت نفسه لم نر صلة متميزة في ذلك التناص الشعري تنجح في رسم العلاقة بين معاني الحيرة ، والشك ، والظلم المعاش في زمن الشاعر مع القصة القديمة ؛ وقد أدى ذلك إلى ضعف تبيان الأصرة في النص الشعري بين (الفحولة الساقطة ، والحجر الذي يوازي اللغة) فضلاً عن دلالة القراءة ودلالة اليد وهي في حالة إنفلات .

ومن التراكيب التي تقترب في شيوعها من التركيب القرآني ((رجماً بالغيب)) الذي ورد في قوله تعالى ((سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةً رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةً سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْماً بِالْغَيْبِ))^(١١) فإنه ورد في قول الشاعر ضمن القصيدة نفسها :

((كي نعرف ؛

كل ضحكة مسافاتها دمة مقللة

كل هذا الصهيل رجماً بالغيب

كل لحظة غامضة ، منجماً للفراغ

كي نعرف))^(١٢)

فاليقين في عدد أصحاب الكهف رجمٌ بالغيب ، وصهيل الأفراس عند الشاعر رجمٌ بالغيب ، وادعاء السلطة المزيف بالنصر رجمٌ بالغيب ، وفسحة الأمل في ذلك الوقت رجمٌ بالغيب ، والدلالة الأكيدة ترتبط بالأمل المتبدد عند الشاعر من جراءِ فعّال السلطة الحاكمة والقائمة على التضليل والخداع ، والشاعر عمد إلى أسلوب التناص القرآني في أكثر من مناسبة بدلالات ما يعانيه المواطن من قهر واستبداد على أيدي الزمرة المنتفذة مع ميله للتلميح والتكثيف للمعنى المراد ، مثلما نلاحظ في قوله :

((من نبأ النسيم رؤى الجزيرة

حتى أن تسع بقرات عجاف يأكلهنَّ السمين

وتسع بقراتٍ سمانٍ ، اضعن الفحولة

لحظةً الطلقةً تختبيء كي إهب العمرَ في الثواني العجافِ)) (١٣)

وهذا تناص لا ينكر مع قوله تعالى ((وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعٌ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ)) (١٤)، لكنه تناص يحيل الرؤية أو الحلم إلى واقع ملموس وينقل المكان من مصر الفرعونية إلى بلادنا في هذا الزمن ، ويوصل المعرفة القديمة في تأويل الأحلام بمعارف اليوم المدعومة بشواهد الواقع المر .

إن قوة اليوم ليست كقوة الأمس ف ((تسعُ بقراتٍ سمانٍ ، اضعن الفحولة)) وخبر اليوم القائم على التجربة ، لا كخبر الماضي السحيق القائم على الاستبصار ، إنه تناص عكسي للمألوف والمقروء القرآني تّمّاه الشاعر بمقطعه الشعري ، فهذا التناص من ((نسيج من التعالقات المستقبلية تحقق له ارتحاله الدائم الذي يجده من

التأويل الواحد وينطلق به نحو قراءات لا نهائية)).^(١٥) إن تقصي الظلال القرآنية في المفردات والتراكيب الشعرية يحتاج إلى تأمل ، واستدعاء وإحالة ، ولاسيما أن الألفاظ عامة متداولة قديماً وحديثاً ، ولن تخضع لخصوصية القرآن الكريم إلا بقريضة ثابتة بيّنة .^(١٦) وبالرغم من أن التحوير الذي قام به الشاعر لم يوظف تفاصيل القصة القرآنية مثلها وردت إلا أن المعنى المستحصل من نصه الشعري — بفضل التناسق مع القرآن الكريم — قد اتجه صوب المحنة التي عاشها الشعب العراقي وهو يتجرع غصص الفاقة والحرمان بفعل الحروب المجانية التي خاضتها السلطة لأكثر من عقد ...

وعالم الشاعر ماجد حاكم الشعري عالم مكتنز ، تكثُر فيه المقاصد وتتسَيّد فيه المفارقات فعلى سبيل المثال عُرف ((الصراط)) في قوله تعالى ((أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ))^(١٧) بمجاز العبور المؤدي إلى النجاة من النار في الآخرة ، لكن الصراط في نص الشاعر المعنون ((خارج عن رهبة المستقيم)) المتأثر بـ((الصراط القرآني)) ، مُنهدِل ، ومنحنٍ ، وآيل للسقوط ، ومرتبِط بالفعل المتحرك ، ومُستنسخ عن الأصل الثابت ، قال الشاعر ماجد حاكم موجد:

((والظل ايها الصراط المنهدل

انهم يقبرون رحم العافية

بالعمى الراجع من صفير النهار))^(١٨)

فالصراط الموصوف بالاستقامة في النص القرآني ، أضحى صراطاً يُرهب ويُخيف ؛ لأن واضعيه (يقبرون رحم العافية) والتناسق ضمن هذا النص يصب في دائرة

ظلم السلطة الحاكمة وسياستها القائمة على الترهيب ، وقد تبرز في ظاهرة تناص الشعر المنثور بالقرآن الكريم أصوات متعددة تتمازج مع بعضها في نسيج العمل الشعري ، وقد تكمل بعضها بعضاً ، أو يسود النص المهيمن على شركائه^(١٩) ، وعند وقوفنا عند عنوان النص الآتي للشاعر ، نتلمس الأثر الدلالي العميق الذي تسبغه الدلالة القرآنية على نص الشاعر الموجز بالكامل قال الشاعر :

((خطاب القيامة))

((وأشهد أني أسفت على واحدٍ يرى

يأخذُ جرتي من ظل وجهي

ويفتح من ألمي المنكسر))^(٢٠)

إن لفظة (القيامة) في عتبة النص تظل محتفظة بقوة أصلها القرآني إنها)) الحد الفاصل بين الحياة الدنيا وبين الآخرة، وعليه فإن منازل الآخرة تبدأ بمجرد مغادرة الروح البدن))^(٢١) وإن حاول الشعراء ومنهم شاعرنا حرف تفاصيلها إلى وجهات نظر اجتماعية وفكرية ، إلا أنها في الوقت نفسه لها جانب متميز راكز في المنظور الإسلامي يسمح بفتح آفاق جديدة للشعراء في التعبير بخيال أخاذ عن مستقبل سيأتي ، أو ماضي اندثر .

فالشاعر ماجد حاكم موجد عرض في نصه المذكور جانباً من الألم والدمار الذي أصاب بلدة أو آخر القرن العشرين بشهادة الشاعر إذ قال : ((ويفتح من ألمي المنكسر)) وهو ألم المأسوف على وطنه ، بفعل توجهات السلطة ومآربها ...

ثم في نص لاحق للشاعر، تتحول المفردة القرآنية إلى بؤرة أساسية في نسيج النص و دلالاته ، من نحو ما نرى ذلك في قوله:

((ماذا يحيك الغبارُ

لو صليلُ المساميرِ ، يرهبُ الذئبَ من قبلُ

لو قارورةٌ تحبِّيء الصليبَ في قميصِ الصراحةِ

لو تحييءُ عصيِ بلدةِ التمرِ والعنبِ والسكاكينِ

ألقُ ...

تخرج رأسك بيضاءً من المسغبة)) (٢٢)

إن الناظر لنص الشاعر، يلحظ أخذه ألفاظاً من قصص قرآنية متعددة كلفظتي (الذئب و القميص) وهما متعلقتان بقصة يوسف عليه السلام ، في قوله تعالى ((قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَدْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذَّبُّ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ قَالُوا لَيْسَ أَكْلَهُ الذَّبُّ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذًا لَخَاسِرُونَ)) (٢٣)، وفي قوله تعالى ضمن السورة نفسها ((وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ)) (٢٤) .

وفي هذا النص الشعري يتمنى الشاعر أن يخاف (الذئب) بوصفه رمزاً للشر من الشعب ؛ فلا يفتك بهم ويمزقهم ، وتمنى أن تكون عبارة (قميص الصراحة) مدخلاً لضم الصليب والمصلوب عليه في موضع الحق وبيان صفة من غدر به بأسلوبه المعسول المخادع وما أشبه اليوم بالبارحة .

أما المفردتان ((عصي - ألق)) فقد تم استيحاؤهما من سياق الآية الكريمة ((وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ))^(٢٥) وتقعان ضمن محيط المعنى السابق ؛ بما يشيعان من أعمال تتصل بالخدعة والتزييف وهي سياسة ترافق سياسة البطش التي اعتادت السلطة ممارستها ضد الشعب .

أما الحلقة الأخيرة من المقطع (تخرج رأسك بيضاء من المسغبة) فالتناص فيه واضح مع قوله تعالى ((وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجَ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ))^(٢٦) .

فتقارب السياقين الشعري والقرآني ، ضمن بؤرة التداخل الحاصلة عبر الفعل (تخرج) لا تعني اتفاقها في النتيجة ؛ فالنص القرآني يشير إلى إحدى معجزات النبي موسى عليه السلام الغالبة ، في حين أن نص الشاعر ماجد حاكم موجد ، يوحى بما سيؤول إليه حال المواطن بعد سنوات القهر ؛ فاللون الأبيض سيكون خاتمة المطاف سلباً أو إيجاباً ، على أن المفردة التي أسهمت اسهاماً واضحاً في تعدد دلالة ((بيضاء)) بين النصين القرآني والشعري ، هي (مَسْغَبَةٌ) التي وردت في القرآن الكريم بقوله تعالى أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ^(٢٧) وأحالتها الشاعر إلى مفاهيم الحرمان بأشكاله المختلفة.

ويُعزى إنتاج الشاعر صورته وتكثيفها في هذا المقطع ؛ إلى المفردة القرآنية الموظفة ومعانيها المنتجة ، وأدى نجاحه في التوظيف إلى خلق المحفّز ((بتكثيف الشعور والإحساس الذي تثيره فكرة من افكاره وتسعى التجربة الشعرية من خلال صورها إلى تجسيده حساً وفكراً في آن واحد))^(٢٨)

وفي موضع آخر من نصوص الشاعر (مدار الدراسة) وردت لفظة (عرجون)

و((الرجون هو كعودٍ عذق النخلة العتيق))^(٢٩) ، والمذكورة في قوله تعالى ((وَالْقَمَرَ
قَدَرْنَا مِنْ مَنَازِلٍ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ))^(٣٠) إذ وظّفها الشاعر بالتناسل ضمن
قوله :

((هل العُرْجُونُ بعدُ إذ ، جُسِّد في اعتدالك !؟

هل الحاضرُ رمم صرامة التواتر !؟

الحاضر وجع في اللغة ، وانكسار الخريطة))^(٣١)

لقد حاول الشاعر في هذا الموضوع ، أن يمتص معنى المفردة ويجسدها في تعبير
جديد ودلالة مضافة ؛ بأن يُنسب الاعوجاج إلى حال الحياة ، بدلالة الشطرين
اللاحقين اللذين ينميان هذا المعنى ؛ فالحاضر بعين الشاعر دائرة من التوتر والوجع
والتفرقة ، وهذه المعاني تنطبق على واقع الحقبة الزمنية التي عاشها الشاعر ونظم فيها
عدداً من القصائد وهي سنوات الحصار . وهذا المعنى المتقدم يتكرر عند الشاعر في
موقع آخر بقوله :

((اشتهاؤٌ إلى نخلةٍ

تفلت عن غيابِ الظلالِ

أظللُّ عرجون قلبي بأقمارها

وأشهدُ))^(٣٢)

فقلبه الخاوي كالعرجون لن تحتضنه إلا نخلة هي رمز للوطن ، فالفجاعة كبيرة
، والرغبة شديدة كي يعود الوطن إلى سابق عهده .

ولما أراد الشاعر أن يتساءل ، عنون إحدى قصائده (عمّ) (٣٣) الواردة في الذكر الحكيم بقوله تعالى ((عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ)) (٣٤) وهو تناص إبتدائي قبل الولوج إلى غمار النص ، يتشارك فيه النص القرآني مع النص الشعري في طرح الأسئلة المتشعبة إلى مقاصد متعددة -

ومحصلة لما سبق ، فقد نتج إحساس - بالاضطهاد - لدى الشاعر ماجد حاكم موجد، وترافقت معه رغبة بالهروب من الواقع الأليم ؛ لذا نتلمس ميله بعد ذلك إلى التناص مع الآيات القرآنية التي توحى بمعاني الغربة في المنافي مثلما سنلاحظ في المحور الثاني .

المحور الثاني : الغربة والتناص القرآني .

إن القرآن الكريم باعجازه البياني ، ومضامينه الساطعة ، فتح باباً لكل من يريد تمثيله والنهج على منواله ، لذا قيل ((ان القرآن سيطر على الملكات الأدبية منذ نزل ، وسحر الألباب بجمال أسلوبه)) (٣٥) ، وقد ذكرنا في مقدمة البحث ميل الشاعر في مواضع متعددة إلى التأثر بالخطاب القرآني وما يستوحى منه ، أداءً ، ومغزىً ، صوب عرض رأي أو تعزيز فكرة، أو تفنيد وجهة نظر ، وإن نظم الشاعر شعره بها يجذو حذو القرآن الكريم في الأساليب والدلالات سلاح ذو حدين ؛ فأما أن ينجح بذلك التوظيف أو الحذو ؛ فيثري صورته وينعش أفكاره ، وأما أن يضعف أداء تلك المزية .

والشاعر ماجد حاكم موجد ، حاول في أكثر من موضع ملامسة معاني الآيات المباركة وتحقيق الإفادة من دلالتها ، وإذا كان قد عبر في جانب من نصوصه عن فكرة الظلم والتعسف بوصفها نهجاً اتبعته السلطة الحاكمة وقتها ، فإنه في نصوص

أخرى قد اقترَب من معاني الغربة والهروب من الواقع القلق إلى الواقع الأكثر أمناً واستقراراً، وحقق له التناسق مع المدار الدلالي للآيات القرآنية الكريمة رغبتَه المنشودة بشكل يناسب و مقدرته الفنية ، ومن أمثلة النصوص الشعرية المظهرة ضمناً معاني الغربة ، المقطع الآتي إذ ينصرف ذهنُ المتلقي في رحلة الذاكرة إلى نص قرآني آخر تمازج مع قول الشاعر :

((خذ القمح ، وافرك طحينَ البياض

وابتديء محنةً تقرض الاشتعال / يرجعون

ترى الشمس اذا طلعتْ تزاوُرُ عن لغةٍ يعجمونها

ستشهر الدراهم

كي تبيع دنانير الماء

لا تبيع / باعوا...))^(٣٦)

إذ يرد في نص الشاعر تركيب قرآني، وهو جانب من قوله تعالى ((وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِّنْهُ))^(٣٧) وتتجه دلالة الآية القرآنية إلى معاني اللطف الآهي ، بالفتية النائمين في الكهف ، المتمثلة بميلان الشمس ((تزاور : تميل وتعدل))^(٣٨) عند الطلوع كي لا تحرقهم ، وعند الغروب كي ينالهم نصيبٌ منها مع دلالة ((تقرضهم)) : ((أي تذرهم أو تعدل عنهم وتبتعد))^(٣٩).

إن الدلالة المستوحاة من بعض الآيات القرآنية الكريمة من سورة الكهف ،

وتمازجها مع النص الشعري المذكور للشاعر، ناتجة عن عملية توظيف منصهرة في منطقة لا تشكل لبساً على المتلقي ، فالتوظيف هنا محكوم بعوامل متعددة جعلت الشاعر يبرز المعنى الأول المتصل بالنص القرآني، ويمّوه بالمعنى الثاني المتصل بدلالة النص الشعري في الهروب من بطش السلطة آنذاك، واللجوء إلى المنطقة الآمنة مع ما يجمله الشاعر من ذكريات قديمة، ورغبة في محاكاة نسيج قرآني برؤية جديدة، فضلاً عن إثبات المقدرة الأدبية، وامتلاك الثقافة، والوعي، واستدعاء التراث ومنه القرآن الكريم حين يرى ذلك ضروريا ((فأساس إنتاج أي نص هو معرفة صاحبه للعالم، وهذه المعرفة هي ركيزة تأويل النص من قبل المتلقي أيضاً))^(٤٠).

وتجدر الإشارة إلى إفادة الشاعر في نصه المذكور من (الزمان) القرآني ضمن الآية الكريمة المدونة، ففي الوقت الذي هرب فيه الشاعر من زمان أحداث قصة أصحاب الكهف إلى الزمن الحاضر، فإن المكان لم يعد مُعلّقاً على من ينشد الحرية كما الكهف في القصة القرآنية الكريمة؛ فالشاعر قد حاول من خلال تناصه مع مقطع من القصص القرآني المتعلق بالفتية المتوارين عن أعين الحكم الجائر، قد اقترح الحلول إما بالتوراي أو الانسحاب مادامت الرحمة الإلهية تُحفّ بالمظلومين، والمعنى يُصبّ في دائرة الاحتماء من البطش. ونجد المعنى المائل لدى الشاعر في موقع لاحق في قوله:

((هو الحدودُ، حتى كان آخر الغيابِ وأوّل الصّيعَةِ

حتى يَحيكُ النوى كي ينام،

حتى يُنيرُ الغياهبَ ويفتلُ الرحيلَ لقمصاننا

حتى رأوا على جذع خارطة دم التأويل

حتى أووا الى كسرة وانكسارٍ

حتى يهز على نومهم صافرات المجيء

هم أخوة ، وهو العواء ، ذاهباً ، والعواء))^(٤١)

ونص الشاعر متأثر بقصة يوسف عليه السلام في القرآن وما توحيه تفصيلاتها كـ (غيابت الجب) في قوله تعالى ((قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ يَلْتَقِطُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ))^(٤٢) وقميصه في قوله تعالى ((وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْراً فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ ١٨))^(٤٣).

فمسار النصين كان على مدارين متقاربين للغاية هما : غدر الخلان ، وخيانة الأقارب من جهة ، ووجود القدرة المنقذة المخلصة من الولايات من جهة ثانية ، وكلا المدارين متلازمان ، فتناص التقارب في الهدف أعظم من تناص الاختلاف في الشخوص والأزمان والأماكن .

وتبدو المقاربة في الأسطر الأخيرة من النص الشعري المتقدم جلية مع قوله تعالى ((إِذْ أَوْى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا))^(٤٤) وكان الشاعر يقنّدي بالإيحاء القرآني ولكن بنهاية خاصة مختلفة عن نهائيتها الأصلية في النسيج القرآني التي تتجه إلى الاحتماء من البطش ، أما في النص الشعري فقد كان الفعل (أووا) يشير إلى الركون إلى المهانة ، والانكسار ، والغربة وهذا مؤشر على عدم القدرة على المواجهة . ومن النافع الذكر أن الشاعر عندما يتعامل

مع نص تراثي فإن هذا التعامل يخلق ((جسراً بين نصين ، النص المصدر ، والنص المحدث فإن وفق الشاعر في الاختيار والتعبير وصل إلى جذر عملية التناص))^(٤٥) والشاعر المندوب في هذه الدراسة حاول الإفادة من النص القرآني الموظف في أكثر من موضع بقدر ما يتمكن .

وقريب من الشاهد المتقدم ، نص الشاعر ماجد حاكم موجد الآتي :

((أنى لك وجعُ الخطيئات

قال : كذلك

لن ترى ، وإن دخل البعيرُ

سيقولُ حراسُها : أدخِلْ

عليك ثيابَ الخديعةِ))^(٤٦)

إذ يتبين للمتتبع أن المقطع الثالث متأثر في نسيجه اللغوي إلى حد ملحوظ بقوله تعالى ((وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ))^(٤٧) ووجه الاتفاق الأقوى بين النصين الشرط بدخول الجمَل فيها لا يمكن دخوله ، وإذاما كان الخطاب القرآني موجّها من ربّ العزة للمجرمين المعاندين بأن لا غفران لهم إلا أن يلج الجمَل من منفذ آلة الخياط وهو أمرٌ مستحيل ؛ مما يبدهد مناهم ويفشل أحلامهم ، فإن نص الشاعر حاول كذلك أن يقترب من دلالة الاستحالة ، في معرفة طعم الألم الذي يتجرعه كل من ذاق ويلات الحروب ، ونفاق المتسلطين على رقاب الناس والفرار إلى بلدان الاغتراب وهو الحل غير المصرّح به ، واقتنص الشاعر في

موقع لاحق قوله تعالى ((وَفَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ))^(٤٨) ليستوحيه في قوله :

((هو احمرار يابسٌ وأنا قدحةُ الظلمةِ

حتى رآه يقلي دمي ورآني افتدي بكبشٍ صباي صلواته الهرمة))^(٤٩)

وتتباين الفكرتان ؛ ففي النص القرآني كان الكبش وسيلة إنقاذ لإسماعيل عليه السلام من الذبح ، وفي النص الشعري للشاعر ماجد كان الكبش صباه المذبح . والشاعر أظهر أسفه على عمره الضائع ، وسحب الغربة النفسية والمكانية التي عاشها الشاعر في المهاجر .

الخاتمة ونتائج البحث

إن للقرآن الكريم منذ نزوله ، أثراً ملحوظاً في المنظوم والمنثور ، وقد تفاوت تأثيره في ما أنتج من أعمال على مر العصور ؛ بحسب الألفة التي يشعر بها مُنتج النص تجاه لغة القرآن ، ومدى التأثير الذي يتركه في مكوناته الثقافية .

ومن ملامح تأثير القرآن في الشعر ، كثرة التراكيب والمفردات القرآنية الموظفة في بناء لغة الشعر ، فضلاً عن الاقتداء بالغايات والأفكار واستيحاء المضامين الجزئية .

ولا يشذ الشعر المنثور عن نطاق التأثير بالقرآن الكريم ، عبر التناسخ معه ، فيكتسب النص دلالات لا متناهية ، ويُرفد بطاقة متجددة تُثري معناه وتوجه دلالاته نحو أبعاد جديدة ، وخير دليل على ذلك شعر ماجد حاكم موجد الذي تعددت وجوه التناسخ فيه ، مع القرآن الكريم ، على صعيد المفردة ، والتركيب ، والمضمون .

وكان للمحاور المتناسخ معها دور في إنتاج الدلالات وتوجيهها ، بما تمتلكه من خصائص ثرة ، وقد تركزت أهم دلالات تأثير شعر الشاعر بالقرآن الكريم في محورين رئيسيين الأول : ما يدور في نطاق غدر السلطة الحاكمة بالشعب ، وقد وجدنا الشاعر يستعين بالفاظ وبأساليب قرآنية تدور حول هذا المعنى ؛ كقصة يوسف عليه السلام مع إخوته . و الثاني : ما يدور في فلك الهروب والغربة في بلدان اللجوء بوصفها محصلة ناتجة عن الظلم والاضطهاد، بدليل ما ورد من سورة الكهف وسورة العصر في نصوصه.

ولعل تركيز الشاعر على إبراز رؤى قائمة وحزينة عن وطنه وحاضره المؤلم ومستقبله المجهول ظلت تشكّل دافعه الأساس للتناسخ مع الآيات القرآنية التي

تثير المعاني المقصودة؛ بالرغم من أن تناصه في عدد من المواضع لا يعني تطابقه التام مع الأفق الدلالي للآيات الموظفة، ولا يعني نجاحه كذلك في كل مواطن التناص مع القرآن الكريم.

ولقد نهج الشاعر طريقاً شعرياً مغلفاً بالغموض والإيهام لتمرير مبتغاه، وربما يعود هذا النهج لتقليل كلفة الصدام مع السلطة؛ لذا تطلب نصه قراءة متأنية تفك شفرته، وتبين أفكاره، ومن الله التوفيق.

الهوامش

(١) الرأي يعود لـ (كريستيفا) : معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة : ٢١٥ .

(٢) م - ن : ٢١٥ .

(٣) ينظر : قصيدة الشتر التسعينية في العراق أنماطها ، اتجاهاتها ، وخصائصها : ٢٤٥ .

(٤) التناصية - النظرية والمنهج : ٨٧ .

(٥) ديوان ما تساقط بل أوشك للشمس : ١٩ .

(٦) سورة الحجر : آية ٧٨ .

(٧) كلمات القرآن تفسير وبيان : ١٤٦ .

(٨) سورة البقرة : آية ٧٠ .

(٩) ديوان ما تساقط بل أوشك للشمس : ٢٠ .

(١٠) ينظر : غرر الفوائد ودرر القلائد : ج ٢ - ٣٥ .

(١١) سورة الكهف : آية ٢٢ .

(١٢) ديوان ما تساقط بل أوشك للشمس : ٢١ .

(١٣) م - ن : ٣٢ .

(١٤) سورة يوسف : آية ٤٣ .

(١٥) التناصية - النظرية والمنهج : ٨٧ .

(١٦) ينظر للاستزادة أثر القرآن الكريم في الشعر الفلسطيني الحديث : ٩٠ .

(١٧) سورة الفاتحة : آية ٦ .

- (١٨) ديوان ما تساقط بل أوشك للشمس : ١٢ .
- (١٩) مرايا نرسييس : ١٧٤ .
- (٢٠) ديوان : تحت القمر ... فوق الورد : ١٠ .
- (٢١) أصول الدين الإسلامي : ٥٣٨ .
- (٢٢) ديوان ما تساقط بل أوشك للشمس : ١٩ .
- (٢٣) سورة يوسف : الآيتان : ١٣ - ١٤ .
- (٢٤) سورة يوسف : آية ١٨ .
- (٢٥) سورة الأعراف : آية ١١٧ .
- (٢٦) سورة النمل : آية ١٢ .
- (٢٧) سورة البلد : آية ١٤ .
- (٢٨) مستقبل الشعر : ١١٧ .
- (٢٩) كلمات القرآن تفسير وبيان : ٢٥٤ .
- (٣٠) سورة يس : ٣٩ .
- (٣١) ديوان ما تساقط بل أوشك للشمس : ٢٤ .
- (٣٢) ديوان تحت القمر .. فوق الورد : ٢٨ .
- (٣٣) ديوان ما تساقط بل أوشك للشمس : ٣٠ .
- (٣٤) سورة النبأ : آية ١ .
- (٣٥) أثر القرآن في تطور النقد العربي إلى آخر القرن الرابع الهجري : ٣٣٤ .

- (٣٦) ديوان ما تساقط بل أوشك للشمس : ٢٠ .
- (٣٧) سورة الكهف : آية ١٧ .
- (٣٨) كلمات القرآن تفسير وبيان : ١٦٥ .
- (٣٩) م - ن : ١٦٥ .
- (٤٠) تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناص) : ١٢٣ .
- (٤١) ديوان ما تساقط بل أوشك للشمس : ٣٠ .
- (٤٢) سورة يوسف : آية ١٠ .
- (٤٣) سورة يوسف : آية ١٨ .
- (٤٤) سورة الكهف : آية ١٠ .
- (٤٥) أثر القرآن الكريم في الشعر الفلسطيني الحديث : ٨٢ .
- (٤٦) ديوان ما تساقط بل أوشك للشمس : ٢١ .
- (٤٧) سورة الأعراف : آية ٤٠ .
- (٤٨) سورة الصافات : ١٠٧ .
- (٤٩) ديوان ما تساقط بل أوشك للشمس : ٣١ .

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم .

والمنهج : نهلة فيصل الأحمـد : الهياة العامة
لقصور الثقافة : ط ١ - ٢٠١٠ .

٨ - قصيدة النثر التسعينية في العراق
أنماطها ، اتجاهاتها وخصائصها (رسالة
ماجستير) إعداد : عماد كاظم خضير عباس
العبيدي : إشراف د. فاروق الحبوي - جامعة
كربلاء ، كلية التربية للعلوم الإنسانية : ٢٠١١

٩ - كلمات القرآن تفسير وبيان : الشيخ
حسين محمد مخلوف : دار ابن حزم : د. ط -
١٩٩٧ .

١٠ - ما تساقط بل أوشك للشمس :
ماجد حاكم موجد : دار الشؤون الثقافية
العامة : ط ١ - ١٩٩٧ .

١١ - مرايا نرسيـس - الانماط النوعية
والتشكيلات البنائية لقصيدة السرد الحديثة :
د. حاتم الصكر : المؤسسة الجامعية للدراسات
والنشر والتوزيع - ط ١ - ١٩٩٩ .

١٢ - مستقبل الشعر ، وقضايا نقدية : د.
عناد غزوان : دار الشؤون الثقافية العامة -
ط ١ - ١٩٩٤ .

١٣ - معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة
- عرض وتقديم وترجمة : د. سعيد علوش :
دار الكتب اللبناني - بيروت - ط ١ - ١٩٨٥ .

١ - أثر القرآن في تطوّر النقد العربي إلى
آخر القرن الرابع الهجري : د. محمد زغلول
سلام : مكتبة الشباب - ط ١ - د. ت .

٢ - أثر القرآن الكريم في الشعر الفلسطيني
الحديث : جمال فلاح النوافة : إشراف
الدكتور سامح الرواشدة - رسالة دكتوراة :
جامعة مؤتة : ٢٠٠٨ .

٣ - أصول الدين الإسلامي : رشدي
عليان، وقحطان عبد الرحمن الدوري : مطبعة
جامعة بغداد : ط ٢ - ١٩٨١ .

٤ - أمالي المرتضى (غرر الفوائد ودرر
القلائد) : الشريف المرتضى علي بن الحسين
الموسوي العلوي (٤٣٦هـ) : المكتبة العصرية
: د. ط - ٢٠٠٩ .

٥ - تحت القمر .. فوق الورد : ماجد
حاكم موجد : دار الشؤون الثقافية العامة :
ط ١ - د. ت .

٦ - تحليل الخطاب الشعري (استراتجية
التنصص) : د. محمد مفتاح : المركز الثقافي العربي
: ط ٣ - ١٩٩٢ .

٧ - التفاعل النصي التنصصية ، النظرية